اسم الدرس : وقفات مع سورة النساء الآيات (71 : 85)

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

وقفات مع سورة النساء الآيات 71 إلى 85

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ..

هذه الآيات فيها معاني عميقة جدًا، وسورة النساء حقيقةً من أحب السور إلى قلبي؛ فهي سورة دسمة ومليئة بالمعاني العظيمة، ودائمًا ما تجد أن السور المدنية بها عمق، فهي تبني مجتمعًا كاملًا.

بالطبع السور المكية عميقة جدًا، ولكن السور المكية كان عمقها أكثر في واقع يعيشونه... الناس كانوا وقتها يعيشون في واقع أليم جداً، لذلك فهم السور المكية يعتمد على معايشة الوقت؛ أي عليك أن تفهم واقع التعذيب والألم الذي كانوا يعيشون فيه، وبالطبع فيها عمق أيضًا.

❖ السور المدنية:

أنت تحتاج إلى فهم واقع المدينة، فواقع المدينة كان معقدًا -مختلفًا عن واقع مكة-؛ أي واقع مكة كان صعبًا للغاية وأحداثه قوية وبها تعذيب، أما واقع المدينة كان به أفراد كثيرة تحاول أن تتحكم في الوضع؛ من يهود، ومنافقين، ومنافقين يتبعون اليهود، ومنافقين يتبعون المشركين، وقبائل خارجية، وأحكام اجتماعية وغيرها.

لذلك سورة النساء تعالج قضايا كثيرة جدًا، وعميقة ومتشعبة، ومن القضايا التي أثارتها سورة النساء قضية المنافقين، والمنافقون ذُكِرُوا في أكثر من سورة، وتختلف طريقة علاج المنافقين في كل سورة مدنية على حسب قوة الدولة الإسلامية؛ هل لديها القدرة الآن على المواجهة؟ أم لا يزال لدى المنافقين قدر من القوة فنلجأ للتفاوض؟، على حسب قوة الدولة الإسلامية، والمرحلة التي تمر بها ، وعلى حسب الموقف أيضًا؛ يعني هل هو موقف فيه خروج لقتال؟ أم موقف أحدثوا فيه فتنة كما في سورة النور في حادثة الإفك؟

سورة النساء أتت بعد البقرة، آل عمران، ثم سورة النساء.

إذا افترضنا أن أحد أوجه الترابط بين هذه السور هو تطور الدولة الإسلامية في قوتها وتمكنها؛

ففي سورة البقرة كنا لا نزال -كمؤمنين- مجموعة مؤمنة، لا يوجد دولة، وهناك منافقون ويهود وغيرهم.

سورة آل عمران: بدأ يكون هناك دولة، وبدأت الدولة تُحَارِب وبدأ يُلقى عليها شبهات.

سورة آل عمران **نصفين** تقريبًا؛ الجزء الأول: به شبهات النصارى، الجزء الثاني: هجوم من المشركين، هناك هجوم على الدولة الإسلامية عن طريق الشبهات وعن طريق الحرب، ***وبدأت بالشبهات؛ لأن الشبهات أخطر.***

ومقدمة سورة آل عمران تخبرنا أنه دائمًا ما تكون المرحلة الثانية من إقامة أي عمل إسلامي أنه يُحارَب، والحرب تكون بأمرين: إلقاء شبهات، وحرب مادية؛ فبدأت سورة آل عمران ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾[آل عمران: 7]، وأنهم دائمًا يتلاعبون في المتشابهات، وأن أكبر سبيل لهدم الدين في نفوس حملة الدين هو زعزعته بداخلهم؛ أن يشك فيه من الأساس!

نعود إلى سورة النساء...

فبعد أن صددنا العدوان (فكر الشبهات)، بدأنا نهتم بإرساء القواعد الداخلية لمجتمعنا، والعدل هو أهم عامل يقوم عليه أي مجتمع؛ فمن **أهم محاور سورة النساء** التي تناولتها تقريبًا من أولها لآخرها هو العدل في التعامل مع كل الطوائف.

وبعض الناس قال أن **سبب تسمية** سورة النساء بهذا الاسم أن العرب كانت النساء في مجتمعهم لا يأخذون حقوقهم، فكأن هذه إشارة إلى أن أي شخص –ولو كان ضعيفًا– في المجتمع لا بد أن يأخذ حقه، لذلك جاءت في سورة النساء هذه القصة.. ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: 105]

قصة منافق من المسلمين، ويظهر أمام الناس أنه من الأنصار لكنه كان منافقًا؛ سرق درعًا وألقاها عند يهودي، فنزلت الآيات لتبرئة اليهودي؛ للتأكيد على مبدأ العدل، وإن كان الخصم يهوديًا تعطي له حقه.

فمن الطوائف التي نتعامل معها طائفة المنافقين، فجاءت الآيات هنا تعالج هذه الطائفة، وخاصةً من يمارسون تأثيرًا على المجتمع، وهذا التأثير فيه نوع من التخذيل.

فبدأت﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[النساء: 71]

نداء لأهل الإيمان، أهل الإيمان لا بد أن يكونوا على استعداد لتطبيق الأمر؛ لأن هذا الأمر بالتأكيد فيه نجاة لهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾

الفارق بين (احذروا) وبين ﴿خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾؛ كأن (خُذُواْ حِذۡرَكُم) فيه تحذير أشد من كلمة (احذر).

(خُذُواْ حِذۡرَكُم):

كل وسيلة تستطيع أن تحذر بها خذها!

﴿خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ **تختلف عن (احذروا) في عدة أشياء:**

أولًا: هذه الكلمة تفيد استيعاب الوسائل؛ كل ما تستطيع فعله افعله!

ثانيًا: التمسك بالوسيلة؛ أي لا تحذر وفقط، بل احذر وتمسك بوسيلة الحذر!

إذًا الله –عز وجل– هنا يلفت انتباه المؤمنين إلى ضرورة الحذر، والتمسك بوسيلة الحذر؛ لأنه يوجد بينكم أشخاص يمثلون خطرًا عليكم، ويريدون تثبيطكم.

والتثبيط من أخطر تأثيرات المنافقين على أهل الإيمان، ولذلك ورد ذكره كثيرًا في القرآن، سواء الآيات هنا أو آيات سورة الأحزاب..

﴿قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ﴾ [الأحزاب: 18]

هلمَّ إلينا، أي تعال اقعد معنا، ما الذي يدفعك للتعب والذهاب للجهاد؟!

اقعد معنا!...تثبيط

قال الله –عزَّ وجلَّ– عن المخذلين ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا ... وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡ﴾[التوبة: 47]

﴿وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡ﴾ أي أن منكم من يتأثر بكلامهم؛ لأن (سمع ل) تأخذ معنى الاستجابة، ﴿وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡ﴾ أي فيكم من يتأثر بهم. أنت عندما تركع، ماذا تقول؟ تحمد الله،الحمد لله.

وعندما تقوم من الركوع، ماذا تقول؟

(سمع الله لمن حمده) أي استجاب الله لمن حمده.

وبعد ذلك ماذا تفعل؟ تنزل إلى السجود للدعاء، فأنت كنت تقول استجاب الله لمن حمده.. أليس كذلك؟

أنت تطبق ما قلته؛ تحمد الله، ثم تنزل للدعاء في السجود، لذلك الدعاء مستجاب في السجود؛ لأنه يأتي بعد الحمد، وأنت تقول ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[الفاتحة: 6] الطلب الذي تكرره في كل ركعة..

يأتي بعد ماذا؟...بعد الحمد ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الفاتحة: 2]

-فسمع عندما تتصل بحرف اللام ماذا يصبح معناها؟

...استجاب.

﴿وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡ﴾ فيكم أناس في قمة الإيمان، وهناك أناس مضطربة، نشأت مهتزة من الأساس، فعندما تسمع أي شيء.. تقع!

لذلك ربنا يقول في سورة الأحزاب ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ﴾[الأحزاب: 18] فقالوا: ماذا تعني القائلين لإخوانهم؟

هل المنافق يذهب يقول لأخوه؟

الآية تقول: أن هناك أناسًا -هذا في غزوة الأحزاب- خرجت مع النبي ﷺ عند الخندق على حدود المدينة، وآخرون لم يخرجوا، وجلسوا في بيوتهم، وفئة من هؤلاء الناس الجالسين في بيوتهم كانوا يذهبون للمجاهدين في وسط ما هم فيه من التعب والبرد والمشقة، ويقولون: هلم إلينا، ما يدفعكم إلى القعود هنا؟

تعالوا، لا توجد حرب، وإن قامت الحرب، لن تفعلوا شيئًا!... لكن هذا الكلام كان لا يُقال لأي أحد، يقال لمن؟

﴿وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾ قالوا: من هم إخوانهم؟

القول الأول: أي أن كل واحد منهم يقول لأخيه من النسب؟ هذا أحد المعاني.

- **وقيل** {إخوانهم} أي صاحبه الذي يظن أنه سيستجيب له، فهو لا يذهب ويقول هذا الكلام لسيدنا عمر مثلًا؛ لأنه لو قال له ذلك سيقطع رقبته.

إذًا هو يقول هذا الكلام لمن؟

يختار من يشعر بالملل من وقوفه من الأساس، هو يعلم أن الشيطان سيتسلل إليه من هذه النقطة، هذا مدخل الشيطان ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾[آل عمران: 155]، كل إنسان الشيطان يعلم نقطة ضعفه، فيأتيه من خلالها.

الشاهد: تأثيرهم التخذيل، فالله-عز وجل- يقول لك:

﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ كن حذرًا جدًا في تعاملك معهم.

ماذا نفعل إذًا ساعة القتال؟

﴿فَٱنفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا جَمِيعًا﴾

النفر= الحركة السريعة، أن تنتقل من مكان لمكان آخر بحركة سريعة، لذلك دائمًا قرارات البذل والجهاد والقتال أو الحركة تحتاج قرارات سريعة؛ لأنك عندما تتأخر فيها لا تنالها!

أي قرار صعب في الدين حينما تطيل فيه التفكير، لا تأخذه غالبًا، فدائمًا قرارات مثل ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾[البلد: 11] لا تحتاج تفكيرًا طويلًا.

قرارات البذل لا تطِل فيها التفكير، بل تحتاج منك أن تنطلق.

إذًا ربنا يقول عندما تتحركوا -خاصة في القتال- ﴿فَٱنفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا جَمِيعًا﴾

(ثُبَاتٍ) ماذا تعني؟

أحد الحاضرين قال: فُرادى،

استنتجت ذلك من أين؟

لأنها عكس جميعاً.

حسنًا، "ثُبَاتٍ" الثُبة هذه: مجموعة صغيرة.

فربنا يقول هناك **حالتين للنفير:**

- إما مجموعة منكم تخرج،

- أو إما ماذا؟ أو "انفِرُوا جَمِيعًا" أي أنتم جميعًا.

حسنًا هناك اختيار ثالث لم يقله الله، ماذا هو؟ ذاك هو ما قلتَه أنت، هذا لا يصح أن نفعله؛ ما هو ذاك؟ أن يخرج أحد وحده، وهذه نقطة مهمة للغاية، القرارات الجهادية أو الحركية التي ممكن تعود بمشكلة أو بتبعة على الأمة لا يجوز أن يأخذها أحدٌ من تلقاء نفسه، لا يجوز أن واحدًا يأخذ القرار بمفرده. هذا يُعَد وبالًا ومشكلة على الأمة المسلمة كلها.

وهذا الذي يجعل كثيرًا من أهل العلم يُنكر على من يقوم بتفجيرات في فرنسا... أو... أو...، بالطبع هو معترض على الحكم الشرعي، لكن حتى بعيدًا عن الحكم الشرعي -أنك تستحل دماء الناس مثلًا أو... أو... من أجل أن نتجاوز الكثير من الخلاف-؛ هذه المشكلة التي فعلتها أنت بمفردك سيعود رد فعلها على أناس كثيرين رافضين لما فعلته، أنت تأخذ قرارًا يعود على أمة بالكامل!

{أنا لا أفتح هذا الملف؛ حتى لا يأتي أحد ويختلف معي في هذا الملف، ورأيي الشخصي هو المنع.}

سأعطيكم مثالًا آخر، مثالًا في سيرة النبي ﷺ، تخيل في صُلح الحديبية وهم واقفون... المسلمون كانوا غير قادرين على التحمل، فتخيل إذا قام أحدهم وأخذ قرارًا وأخرج سهمًا وضربه على أحد المشركين الواقفين!

في هذه الحال؛ الجميع غير قادر على تحمل ما قد يحدث، وذهب سيدنا عمر لأبي بكر الصديق وقال "لِمَ نرضىٰ الدَنِيةَ في ديننا"[1]، فتخيل إذا لم يتحمل أحدهم وأخرج سهمه وضرب به أبا سفيان؛ كانت الأمور اشتعلت. القرارات الفردية التي مثل هذه غير صحيحة، فلم يكن ليحدث صلح الحديبية وإسلام

[1] كُنَّا بصِفِّينَ، فَقَامَ سَهْلُ بنُ حُنَيْفٍ، فَقالَ: أَيُّها النَّاسُ اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ، فإنَّا كُنَّا مع رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَومَ الحُدَيْبِيَةِ، ولو نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، فَجَاءَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، أَلَسْنَا علَى الحَقِّ وهُمْ علَى البَاطِلِ؟ فَقالَ: بَلَى. فَقالَ: أَلَيسَ قَتْلَانَا في الجَنَّةِ وقَتْلَاهُمْ في النَّارِ؟ قالَ: بَلَى، قالَ: فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ في دِينِنَا، أَنَرْجِعُ ولَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بيْنَنَا وبيْنَهُمْ؟ فَقالَ: يا ابْنَ الخَطَّابِ، إنِّي رَسولُ اللَّهِ، ولَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا، فَانْطَلَقَ عُمَرُ إلى أَبِي بَكْرٍ فَقالَ له مِثْلَ ما قالَ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: إنَّه رَسولُ اللَّهِ، ولَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا، فَنَزَلَتْ سُورَةُ الفَتْحِ فَقَرَأَهَا رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ علَى عُمَرَ إلى آخِرِهَا، فَقالَ عُمَرُ: يا رَسولَ اللَّهِ، أَوَفَتْحٌ هُوَ؟ قالَ: نَعَمْ..

الراوي: سهل بن حنيف | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم : 3182 | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

الناس بعده، فهذه القرارات الفردية تكون إشكالية، بل أحيانًا يحتاج القائد أن يتبرأ من هذه القرارات الفردية.

فهنا في مسألة النفير أو هذه الأعمال، لا يجب أن يأخذ الشخص فيها قرار النفير وحده، أي {انفِرُوا ثُبَاتٍ} مجموعة بعد مشورة، أَوِ "جَمِيعًا".

حسنًا، أثناء النفير عندما تبدأوا بالحركة السريعة، ربنا يقول لك بصيغة التأكيد {وَإِنَّ مِنكُمْ} **أي** يعيشون بينكم، ربنا يقول {لَوْ خَرَجُوا فِيكُم} مختبئ معك وخارج معك ثم تكتشف أثناء العمل للدين أنه مُخذل ومُثبط!

كما قلت لكم من المفاجآت أن ثلث الجيش في أُحد رجع مع عبد الله بن أبي سلول.. صدمة! صدمة أن تكتشف -ثبتنا الله جميعًا- أن ثلث الصف رجع مع أهل النفاق، لا يلزم أن يكون منافقًا، قد يكون ضعيف الإيمان أو في قلبه مرض -على قول المفسرين الذين فرقوا في القرآن ما بين كلمة {في قلبه مرض}[الأحزاب: 32] وبين {منافق}، وأنا أميل لهذا القول-.

فربنا يقول بصيغة التأكيد {وَإِنَّ مِنكُمْ}، مثل عندما يقول ربنا في سورة آلِ عمران {مِنكُم} يُخاطب الصحابة {مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ}[آل عمران: 152]، عبد الله بن مسعود يقول "والله ما كنتُ أظنُ أن أحدًا منا يريد الدنيا إلا بعد أن نزلت هذه الآية "تخيل! نحن إذا قيل لنا {مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ} سنقول كيف هذا! نحن أصحاب آخرة، لا بل نحن منهم -ثبتنا الله-، والبلاءات تفضح -ثبتنا الله جميعا.

فربنا يقول {وَإِنَّ مِنكُمْ} ماذا يفعل؟ {لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ}، فقالوا ماذا يعني {لَيُبَطِّئَنَّ}؟ فقالوا فيها **معنى من الاثنين:**

- إما يُبطئ نفسه..

ففعل "يُبطئ" يسمى فعلًا متعديًا، {وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ} يُبطئ أي يُبطئ أحدًا... يسمونه فعلًا متعديًا، فمن يُبطئ؟ فقالوا يُبطئ نفسه؛ أي يظل يقول حسنًا.. سآتي.. اسبقوني، كما في القصة -التي

إن شاء الله نريد أن نأخذها أيضًا- قصة توبة كعب بن مالك عندما تخلف عن غزوة تبوك، فيقول (لازلت أتباطأ حتى خرج الجيش وانفرط الغزو)، الأمر انفرط ومرَّ، وظل يقول غدًا أُجهِز نفسي، وكان دائمًا يقول "أنا قادر على ذلك إذا شئت"، يقصد أنه قادر على تجهيز نفسه والخروج إن شاء في أي وقت، ولم يكن يفعل، وهذا أحد معاني قول الله عز وجل {وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عدة}[التوبة: 46].

دائمًا في هذه القرارات يجب أن تستعد وتُعد العدة.

فهنا ربنا يقول **المعنى الأول**: {لَّيُبَطِّئَنَّ} نحن قلنا هناك مَن قالوا يُبطئ أي يُبطئ نفسه، كل ما حدثته نفسه أن يخرج يقول لا.. هناك ضرر، الأفضل ألا أخرج، ويظل يتباطأ، ويتباطأ بأعذار، وهناك شخصية مشهورة جدًا في القرآن، الشخصية كثيرة الاعتذارات، ذكرت أيضًا في سورة الأحزاب يقول {إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ}[الأحزاب: 13] دائمًا لديه عذر، كلما تطلب منه عملًا للدين دائمًا عنده عُذر، هو كآلة توليد أعذار، عنده القدرة أنه في أي طلب تطلبه منه في الدين في أي وقت يكون لديه عذر، لدي امتحانات.. لدي كذا.. لدي كذا.. يظل لديه أعذار كثيرة، **فهذا هو التباطؤ**.

أو قالوا -وهذا هو الأنسب-:

- يُبطئ غيره، مثل المعوقين...

أي يذهب لهذا ويقول له: لا تتعجل، لا زال هناك وقت، أي لا يذهب ليواجهه ويأمره بعدم الخروج، انتبه! بل يذهب ليجعله يتباطأ، أي لا يذهب ليقول له لا تخرج، بل يقول له ما زال هناك وقت، مثل ما عندما تأتي لتبدأ المذاكرة فيقول لك أحدهم ما زال هناك وقت حتى الامتحانات وجميعنا لم نذاكر بعد، فهو لا يقول لك لا تذاكر، لا، بل يقول لك تباطأ. فهنا لا يذهب ليقول له لا تعمل للدين، بل يأتي بأسلوب التباطؤ {وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ}.

حسنًا، بعد ما أخذ القرار أنه لا يخرج وبطأ نفسه وبطأ غيره، فهناك أناس خرجوا واستجابوا لله ولرسوله {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ}[آل عمران: 172]، فبعد ما خرجوا يقول لهم الله {فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ} **أي** إذا حدث أن هذه الغزوة لم تفوزوا فيها..، وربنا دائمًا يضع لك احتمالات أنه لا يجب أن تفوز دائمًا، بل إن ربنا بدأ باحتمال عدم الفوز، فمن الوارد أنك لن تفوز، ***أي أنه ليست قاعدة أن كل خروج للدين لا بد أن يفوز.***

النبي ﷺ يقول (أيُّما سَرِيّةٍ غزَت) -الحديث في صحيح مسلم- (أيُّما سَرِيّةٍ غزَت فغنمت -انتصرت وأتت بغنيمة- فقد استعجلت ثلثي الأجر)[2] تخيل!

مرة أخرى.. (أيُّما سَرِيّةٍ غزَت فغنمت فقد استعجلت ثلثي الأجر)، فهي إذا فازت لم تأخذ الأجر كاملًا، تخيل! أي عُجل لها جزء من الأجر في الدنيا.

فمن الوارد أن يخسر المؤمن، وليس المقصد أن يستمرئ الخسارة؛ أنا أقصد أنه واردٌ أن يُقتل في سبيل الله، فهذا لا يجعل لدى الإنسان شبهة كيف المؤمنون يُغلبون؟ لا، بل هناك سنن كثيرة تحكم هذه القضية. فلا نقول كيف يكون مؤمنًا ويُقتل؛ هذا وارد، كيف يكون مؤمنًا ويُعذب؛ هذا وارد، له حِكَم، الملك سبحانه وتعالى له أكثر من حكمة في تدبير الكون.

{فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ} ماذا يقول؟

وهذه كلنا للأسف -أو سأتكلم عن نفسي أقع فيها كثيرًا-، أن شخصًا مثلًا يتأخر عن عمل صالح ويقوم أناس بهذا العمل فيبتلوا؛ فيقول {قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا}. بالطبع أنت لا تتمنى البلاء، أنا لا أقصد أنك تتمنى البلاء، لكن إذا نال أحد الشهادة في سبيل الله فلا تقل الحمد لله أنني لست مكانه.. بل هو الذي فاز.

مثل مَن خرجوا للحج وماتوا، هؤلاء من فازوا.

بل يجب أن تقول الجملة التي وردت في الآية التي تليها {يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا} [النساء: 73]، تقولها على من يموت شهيدًا في سبيل الله، تقول {يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

فهذا يدل على أنه من الأساس كاره!، وأنه يتعامل مع ربنا تعامل أنه إذا فاز سيعمل لله وإذا لم يفز لن يعمل، هو يريد أن يربط الدين بالفوز دائمًا، وهذه الإشكالية دائمًا، هو يعتقد إذا كنت ملتزمًا فلا أرسب ولا أُضرب ولا يتم إيذائي، لا! من قال هذا؟ أنت لا تدخل الدين مثل الذي يدخل مجلس الشعب يريد حصانة، أنت تدخل الدين تعمل لله، وهناك ابتلاءات وسنن لهذا الكون.

[2] ما مِن غازِيَةٍ، أوْ سَرِيَّةٍ، تَغْزُو فَتَغْنَمُ وتَسْلَمُ، إلَّا كانُوا قدْ تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أُجُورِهِمْ، وما مِن غازِيَةٍ، أوْ سَرِيَّةٍ، تُخْفِقُ وتُصابُ، إلَّا تَمَّ أُجُورُهُمْ.

الراوي : عبدالله بن عمرو | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 1906| خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

فهنا يقول {قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا} والعجيب أن هؤلاء الناس يستعملون دائمًا مصطلحات دينية، أي يقولون {قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ}، الحمد لله أن ربنا نجاني!

ماذا قد يعني هذا الكلام؟ قد يعني أن من خرجوا كانوا على باطل!

تخيل أن بعض الناس خرجوا ليقوموا بخدمة لدين الله فحدث أذى، فيقول من لم يخرج: اللهم لك الحمد أنك نجيتني من هذا البلاء!

يقولون هذا على من خرج مع النبي ﷺ، فأنت هكذا تشكك في الغزوة التي خرجوا لها!... هو لم يقل أنا فررت بنفسي، لا، بل يقول { قد أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا }، ***انتبه للمصطلحات!***

بالضبط كما سيأتي في آيات سورة الأحزاب أنه عندما أحب أن يفر قال { إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ }، وكلمة "عورة" هي مصطلح شرعي، فالعورة في الشرع يجب أن تُسد، فيقول أنا عندي حقًا مشكلة شرعية، كالذي أراد أن يفر من القتال فقال { ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي }[التوبة: 49] أنا خائف على إيماني! فلما أراد أن يترك الجهاد لم يعتذر بأنه مثلًا كالذين كانوا في فتح مكة أو خيبر في سورة الفتح.. كانوا واضحين، المنافقون كانوا واضحين وقالوا { شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا }[الفتح: 11]، هناك مُنافق واضح يقول أنا بكل صراحة { شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا }، وهناك آخر يقول أعذارًا ويصبغها بصبغة شرعية، وهذا هو الأخطر أن يصبغها بصبغة شرعية.

فهنا يقول { قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا }..

سؤال من أحد الحاضرين: لماذا قال شَهِيدًا؟

جواب الشيخ: لا، {شَهِيدًا } معناها ليس شَهِيدًا في سبيل الله، { إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا } شَهِيدًا أي حضرت المعركة.

القرآن يعملنا الأدب مع الله عندما جاءت المصيبة قال { فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ } فلم تُنْسب إلى الله، لكن عندما جاء النصر قال { وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ } أي أن هذا النصر أنتم لا تستحقونه ولكنه تفضل من الملك سبحانه وتعالى، **القرآن يعملك الأدب مع الله سبحانه وتعالى** .

{ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ... } ماذا سيقول عندما تنتصرون؟ { كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا } يا ليتني كنت معهم كي أفوز.

❖ ما معنى { كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ}؟

بالطبع نحن نفهم معنى أنه عندما يفوز المسلمون وينتصرون يقول يا ليتني كنت معهم، يتمنى أن يكون معهم، وهذه تفهمك كما قلت لكم نفس الإشكالية السابقة.. هذه الشخصية تتمنى العمل للدين في أوقات النصر وحسب، ورقة بن نوفل عندما ذهب إليه النبي صلى الله عليه وسلم ماذا قال له؟

عندما قال له: (سيُخرجك قومك)، قال: (أو مخرجيّ هم؟)[3]، قال: (نعم، ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي، ويا ليتني أكون فيها جذعًا –أي شابًا قويًا–)، ورقة يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين

[3] عَنْ عائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أَنَّها قالَتْ: أَوَّلُ ما بُدِئَ به رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ في النَّوْمِ، فَكانَ لا يَرَى رُؤْيا إلَّا جاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إلَيْهِ الخَلاءُ، وكانَ يَخْلُو بغارِ حِراءٍ فَيَتَحَنَّثُ فيه - وهو التَّعَبُّدُ - اللَّيالِيَ ذَواتِ العَدَدِ قَبْلَ أنْ يَنْزِعَ إلى أهْلِهِ، ويَتَزَوَّدُ لذلكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إلى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِها، حتَّى جاءَهُ الحَقُّ وهو في غارِ حِراءٍ، فَجاءَهُ المَلَكُ فقالَ: اقْرَأْ، قالَ: ما أنا بقارِئٍ، قالَ: فأخَذَنِي فَغَطَّنِي حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أرْسَلَنِي، فقالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: ما أنا بقارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أرْسَلَنِي، فقالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: ما أنا بقارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أرْسَلَنِي، فقالَ: {اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ (1) خَلَقَ الإنْسانَ مِن عَلَقٍ (2) اقْرَأْ ورَبُّكَ الأكْرَمُ} [العلق: 1- 3] فَرَجَعَ بها رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَرْجُفُ فُؤادُهُ، فَدَخَلَ على خَدِيجَةَ بنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها، فقالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حتَّى ذَهَبَ عنْه الرَّوْعُ، فقالَ لِخَدِيجَةَ وأخْبَرَها الخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ علَى نَفْسِي فقالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا واللَّهِ ما يُخْزِيكَ اللَّهُ أبَدًا، إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ علَى نَوائِبِ الحَقِّ، فانْطَلَقَتْ به خَدِيجَةُ حتَّى أتَتْ به ورَقَةَ بنَ نَوْفَلِ بنِ أسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وكانَ امْرَأً تَنَصَّرَ في الجاهِلِيَّةِ، وكانَ يَكْتُبُ الكِتابَ العِبْرانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإنْجِيلِ بالعِبْرانِيَّةِ ما شاءَ اللَّهُ أنْ يَكْتُبَ، وكانَ شيخًا كَبِيرًا قدْ عَمِيَ، فقالَتْ له خَدِيجَةُ: يا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أخِيكَ، فقالَ له ورَقَةُ: يا ابْنَ أخِي ماذا تَرَى؟ فأخْبَرَهُ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ خَبَرَ ما رَأَى، فقالَ له ورَقَةُ: هذا النَّامُوسُ الذي نَزَّلَ اللَّهُ علَى مُوسَى، يا لَيْتَنِي فيها جَذَعًا، لَيْتَنِي أكُونُ حَيًّا إذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ،

ماذا؟ (حين يُخرجك قومك)، هو كان كبر لأن في الرواية (وكان قد عمي)، فكان كَبُر ، هل تعرفون ورقة بن نوفل؟ الذي كان يقرأ التوراة والإنجيل وكان ابن عم السيدة خديجة.

فيقول للنبي صلى الله عليه وسلم (يا ليتني أكون فيها جذعًا -أي شابًا- حين يخرجك قومك) اختار أشد لحظة استضعاف وكان يرجو أن يكون موجودًا، لم يقل يا ليتني أكون فيها جذعًا حين تفتح مكة وتنتصر، فهو يعلم أنه سينتصر!

هناك من يريد أن يأتي في اللحظة التي ترفرف فيها الأعلام ويقول أنا معكم، أنا هنا، أتيت، حسنا.. ماذا بالنسبة للبذل وأوقات الاستضعاف؟! لا، هو لا يريد أن يعمل في هذا الوقت، هو دائمًا يريد أن يأتي عندما تُفتح الدنيا وتُرتب وتستقر.

وماذا عن **ثواب الأوائل** الذي تكلمنا عنه في قصة غلام الأخدود؟ من الذي يحفر والذي يبدأ الطريق؟ هؤلاء الذين يأخذون ثواب كل الذين سيأتون خلفهم، وأحيانًا كثيرة جدًا أناس تحفر الطريق ويأتي أناس يُنسب لها الفضل وليست هي من فعلته، ولكن الله عز وجل يعلم من له الفضل الحقيقي.

فنحن -وأنا منهم- أغلبنا يحب العمل في وقت الرخاء، كما قلنا في سورة التوبة.. المنافقون عندما أحبوا أن يجاهدوا قالوا يمكن أن نجاهد، ولكن متى؟ قالوا { لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ }[التوبة: 81] عندما يعتدل المناخ وتكون الظروف مواتية أنا يمكن أن أعمل!، لكن إذا لم يتوفر هذا وكان هناك مشكلات فأنا لا أحب أن أعمل في وجود مشكلات، أنا أحب أن تكون الأمور مُرَتبة وظروفي مُرتبة وكل شيء مستقر كي أعمل للدين، هذه شخصية كسولة، لا تريد أن تعمل، عندها بالطبع أثرة وحب للدنيا، وعندها أولويات غير دينها فتقدم كثيرًا من الأشياء على هذا الدين.

فقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ، قالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بمِثْلِ ما جِئْتَ به إلَّا عُودِيَ، وإنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ ورَقَةُ أنْ تُوُفِّيَ، وفَتَرَ الوَحْيُ. وقال : يونس ومعمر (بوادره)

الراوي : عائشة أم المؤمنين | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم : 3 | خلاصة حكم المحدث : **[صحيح]** | التخريج :أخرجه البخاري (3)، ومسلم (160)

فتشخيص هذه الشخصية كما هنا وفي السورة أن هذا شخص في وقت الانتصار يريد أن يكون موجودًا، مثل ما وصف ربنا سبحانه وتعالى في أحد معاني الآية في وصف المنافقين في أول سورة البقرة في المثل.. أن ربنا سبحانه وتعالى يقول { كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا }[البقرة: 17] هذا مثل عميق ومتشعب ولكن من معاني هذه الآية { كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم } **أي** كلما انتصر الدين { مَّشَوْا }، كلما يحدث انتصار للدين يمشي في الدين، يقول أنا معكم!، { وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ } وإذا حدث ابتلاء وخوف ورعب.. يقول انتظر لنرى مع من سنمضي!... يعود ويخلع قميص المسلمين وينظر ماذا سيرتدي مع هؤلاء أم هؤلاء.. يهود أم مشركين، يفكر إلى من سينتمي، هؤلاء فازوا؟ إذًا أنا معهم، هو دائمًا يشجع الفائز { يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا }.

الجملة التي نقول أننا نريد أن نعرف معناها { كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ }

ماذا تعني { كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ }؟

هناك معنيان..

- **أحد المعاني** يقول:

كأنه لم يكن صاحبكم ولا يعرف أنكم خارجون للقتال!

يقول لمَ لمْ تقولوا أن هناك جهاد؟ أنا كنت سأخرج.

يالعجب! أنت تعلم أننا سنقاتل ونستعد لذلك، هل تخدع نفسك! فيتكلم كأنه لم يكن يعلم أبدًا بالأمر.

- المعنى الثاني:

أنه من المفترض أن يفرح لكم، فعلى فرض أن لديه عُذر، وأنت قلت أنك لديك عُذر ولن تستطيع أن تذهب معهم، فعندما يفوزون أنت من المفترض أن تفرح لهم، أنت في البداية فرحت لنفسك أنك أنت لم تُصَب، حسنا، وعندما انتصروا؟! { كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ} المفترض أنه من المودة أن يفرح لإخوانه من المسلمين!

هناك دائمًا شخص.. –وهذه إشكالية إذا أسقطناها على العاملين لدين الله، ليس كنفاق بل كإشكالية نفسية تحتاج أن تُحل عندنا بالطبع، والمرء يجد في نفسه هذا كثيرًا– أنه لا يفرح لنصرة الدين إلا عندما يكون على يديه، فإذا فتح على يد غيره يقول حسنًا.. جيد.. وفقه الله، لكن متى يفرح بشدة؟ عندما يأتي الفتح على يده هو، حسنًا، لكن إذا جاء الفتح على يد غيرك المفترض أن تفرح كذلك لأن الدين فُتِح له.

أنا أُقدِّر أن الإنسان يحزن لأنه يرجو أن يعمل هو للدين، لكن أنت تفرح للدين أيضًا. **فلا بد للإنسان أن يفرح لفتح الدين أيًا كان الفتح على يد من، يفرح لفتح لدين الله.**

إنما إذا فُتح على يد غيره تجده غير مهتم وغير مبالي، يريد أن يأتي الفتح عن طريقه هو وحسب.

فهنا يقول { يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

ربنا سبحانه وتعالى يقول { فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا }[النساء: 74]

❖ ما المعنى؟

المعنى الأشهر لهذه الآية..

"يَشْرُونَ" فعل شرى واشترى في القرآن من الأفعال التي كُتب فيها أبحاث وفيها عمق لأنهم اختلفوا هل هما (اشترى وشرى) بنفس المعنى، بمعنى واحد، أم أن شرى: غالبًا في القرآن يأتي **بمعنى باع** ، ترك.

هل من أحد يذكر مثالًا في القرآن لـ "شرى"؟

هنا { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ }[البقرة: 207] أي يبيع نفسه، فدائمًا شرى تأتي بمعنى ترك شيئًا.

ويوجد { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ} أي زاهد في نفسه، الذي هو قول الله عز وجل { وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا }[الفرقان: 63] نفسه هينة عليه، عندما يبيع نفسه لله هو غير مستعظم، لا يقول يا رب أنا حقيقةً شخص جيد جدًا وقررت أن أعمل للدين، هو في الأساس يرى أن نفسه هذه شيء ليس بعظيم، { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ }،

أو { شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ }[يوسف: 20] أي معناها باعوه بثمن بخس {وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ}[يوسف: 20].

فـ 'شرى' غالبًا في القرآن بمعنى: باع،

و 'اشترى' في القرآن بمعنى: اشترى.

أحيانًا يوجد خلاف، وأشهر آية فيها خلاف في القرآن في سورة البقرة التي كانت عن اليهود { بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ }[البقرة: 90] فقالوا اشتروا هنا بمعنى: باعوا، وإن كانوا على خلاف فيها.

فالقاعدة الأغلب في القرآن أن 'شرى' بمعنى: باع، و'اشترى' بمعنى: اشترى كما هي.

حسنًا، إذا قلنا هنا أن "شرى" بمعنى باع، لأن هناك أناسًا قالوا أن شرى هنا بمعنى اشترى..

سنرى الآن الخلاف... الخلاف كله في "شرى"، والخلاف اللغوي أكثر إذا دخلت في التفسير –لكن هي صعبة بعض الشيء– هناك الباء "شروا الدنيا بالآخرة"، في اللغة الباء دائمًا تأتي مع المتروك،

{أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ}[البقرة: 61] الباء دائمًا تأتي مع المتروك، فقالوا الباء هنا جاءت مع الآخرة، هكذا تكون الآخرة هي المتروكة، فكيف!

سنأتي بخلاف في قولين نأخذهم كي لا ندخل في خلاف كثير في الآية، لأن الآية فيها أقوال كثيرة.

- القول الأول الذي عليه جماهير المفسرين:

شرى بمعنى باع، فربنا يقول { فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ }[النساء: 74]، المعنى العام للآية كي نأخذه ونخرج به.. ***لن يستطيع أن يقاتل في سبيل الله إلا الذي يُضحي بالدنيا ويطلب الآخرة.***

هذا هو معنى الآية الإجمالي، لأن هذا علاج الشخص السابق لأن مشكلته كانت في تعظيم الدنيا، فلما أُصيبوا في دنياهم قال الحمد لله أنني لم أذهب، ولما أخذوا غنائم وفازوا بالدنيا قال يا ليتني كنت معهم، فما يُحَرِّكه هي الدنيا وليس الدين، { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ }[الحج: 11] على ماذا تعود الهاء؟ أي بالخير وليس بالله، الذي يُحرّك وجهته هي الدنيا، كما قلنا ابن عباس يقول في البخاري في شرح الآية أن الناس كانت تأتي تُسلِم للنبي صلى الله عليه وسلم فإن أصابهم خير وأنتجت الإبل وأخرجت الأرض قالوا هذا دين مبارك، وإن لم تنتج الإبل ولم تُخرِج الأرض قالوا هذا دين سوء، فالذي يُحرّكهم الدنيا، هناك شخص الذي يُحركه الدنيا، الذي يأتي له بمال يكون هو الجيد!، فالذي يُحرّكه الدنيا، ربنا يقول هذا الشخص لن يستطيع أن يخرج من مشكلته إلا عندما يزهد في الدنيا.

{فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ} وقُدمت في سبيل الله.. كي تكون مخلصًا، لا بد أن يكون عندك نوع من الزهد في الدنيا وتطلب الآخرة {الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ }.

- القول الثاني:

من قال شرى هنا بمعنى اشترى، طلب الدنيا، فربنا يقول أن علاج –هو نفس المعنى لكن بطريقة عملية– ***أن علاج من يحب الدنيا أن يذهب ليقاتل في سبيل الله،***

كما كنت أقول مثلًا إذا كان هناك من يخاف من تعلم السباحة فالحل معه أن تدفعه، تلقيه في البحر، هناك أشياء حلها أن تلقي بنفسك فيها، مثلًا هناك شخص يخاف أن يتعلم القيادة فالحل أن يبدأ، الحل أن تصبح داخل الأمر، تفكر من الداخل وليس من الخارج، طالما أنك تفكر في مشكلتك من خارجها لن تستطيع حلها، ادخل وابدأ.

مثلًا كنت أحكي لبعض الأخوة أني قابلت شخصًا في الحرم يريد أن يترك تدخين السجائر، فتكلمت معه وأخذت منه السجائر وقلت له أنت الآن تركت السجائر، أنت الآن تركت التدخين، وكان معي صاحبي قلت له: بارك له، الأمر انتهى، قلت له: الأمر سهل، لا تظل تقول أنا إن شاء الله أنوي وقبلها سأكون مستعدًا..

فأحيانا حل الموضوع أن تكون بالداخل وتعيش المشكلة، نعم سيقابلك مشاكل وأنت تترك، لكن تحلها من الداخل، فمن كان يتحدث مع بنات وتركهم سيقابله مشكلة، لكن لا يظل يفكر، قم بحل المشكلة وأنت داخلها، بعضهم يقول إذا التزمت سيحدث كذا.. التزم ونحل المشاكل سويًا داخل الالتزام، ربنا يعين، فدائمًا الخائف الحل معه أن يواجه، لكن دائمًا الشيطان { الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ }[البقرة: 268]، الشيطان دائمًا يُشعرك أن هذه الخطوة ستموت بعدها، الحياة ستنتهي، كل شيء سينتهي، كل شيء سيضيع، لا، الشيطان دائمًا يريد أن يضخم لك الأمور.

فالمعنى الثاني للآية أن الحل دائمًا مع من عنده مشكلة والأمر دائما عنده ضخم، حله أنه يبذل، يتحرك، يجرب أن يترك، يسير في الطريق، يأخذ خطوة، يأخذ خطوة جريئة حقًا أن يترك شيئًا لله.

فالمعنيان مترابطان، لن يستطيع أن يبذل ويقاتل في سبيل الله إلا الذي يضحي بالدنيا،

حسنًا، والذي عنده الدنيا غريبة ماذا يفعل؟ أيضًا يضحي، كيف وهو من الأساس خائف أن يضحي؟ لا، هو يأخذ القرار ويجرب ويلقي بنفسه.

كالذي يستصعب حفظ القرآن فيجرب فيجد الأمر بعد فترة سهلًا، هناك أشياء كثيرة أمامنا تبدو صعبة لكن الإنسان عندما يأخذ القرار فيها ويسير فيها يجدها سهلة.

{ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا }

فالعلماء يقولون أن أي أحد يقاتل في سبيل الله سيحدث له احتمال من أربعة، ما هم؟

يفوز أو يخسر أو يُقتَل أو يُؤسر،

هذه هي الاحتمالات الأربعة لأي أحد خارج للقتال،

يفوز، أو يخسر ويمضي، أو يموت سواء فاز الجيش أو خسر، فيمكن أن يفوز الجيش ويموت هو، أو يؤسر سواء فاز الجيش أو خسر.

أما بالنسبة للفرد يحدث له أحد الأربع اختيارات.

فهنا الله عز وجل جاء باختيارين، ما هما؟ يُقتل أو يغلب،

هذه هي نفسية الذي يدخل ليضحي، إما أنتصر أو أموت، ***فهذه نفسية المفترض أن يتربى المؤمن عليها، يدخل إما يفوز وإما يموت***، وبمَ بدأ ربنا؟ يُقتل، هو يدخل باحثًا عن الشهادة في الأصل، هذه هي النفسية التي يخافون منها،

كما كان الإمام ابن تيمية يقول: ماذا يفعل أعدائي بي؟، فلما تربى جيل أهل الإيمان على هذا شعروا بأن الذين أمامهم لا يستطيعون أن يفعلوا معهم شيئًا، تقول لأحدهم سأقتلك فيقول لك اللهم لك الحمد، سأنال نعمة الشهادة، جزاكم الله خيرًا.

تقول له سننفيك، يقول لك المرء منذ زمن لم يتدبر..

تقول له سنسجنك، يقول أنا منذ مدة في مشاغل وأتمنى أن أجلس مع القرآن فترة، المرء يتمنى أن يجلس فترة مع القرآن، تخيل!

هذه الشخصية التي عندها رغبة عارمة في الوصول إلى الآخرة، فالقضية كلها.. ***محور الدائرة الذي نسير فيها في هذه المنطقة من السورة كلها هو أن حب الآخرة*** إذا سيطر على إنسان يدفعه لأعمال عظيمة في الدين.

وبالتالي العكس صحيح، حب الدنيا عندما يسيطر على إنسان يجعله يتصرف تصرفات شنيعة، يجعله يكره الشهادة في سبيل الله، يجعله يُبغض الشهادة في سبيل الله، يجعله يُبغض نصرة الدين، فهذه المعاني عندما تسيطر على إنسان تغيره،

المشاعر تحرك الإنسان،

{ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }[يوسف: 30] الحب عندما يسيطر على إنسان يرى الذين من حوله أنه ضائع وفي ضلال.

فكذلك عندما يسيطر حب الآخرة على أهل الإيمان يتعجب أهل النفاق ويرونهم مجانين، لذلك المنافقون والمشركون في المدينة عندما وجدوا أن المهاجرين تركوا بلادهم وأرضهم وأولادهم لأجل الله ،ووجدوا أناسًا في المدينة ضحوا بنصف أموالهم لأناس لا يعرفونهم قالوا { أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ }[البقرة: 13]، ما هذا الجنون؟! أناس تركت أرضها وأناس قسمت بيتها مع أناس لا تعرفهم، هؤلاء مجانين، أنتم تريدون أن نصبح سفهاء مثل هؤلاء؟! { أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ }، فربنا قال لهم: لا بل أنتم السفهاء، هذا هو الإيمان الحق، لذلك ربنا قال في نفس السورة { سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ }[البقرة: 142]، وقال { إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَه}[البقرة: 130]، فالسورة –سورة البقرة– تتكلم عن بعض القضايا منها مسألة الحكمة والسفاهة.

فهنا أن هذه **المشاعر عندما تسيطر على إنسان تجعله يتحرك**، حب الدار الآخرة عندما يسيطر على إنسان يجعله يأخذ قرارات خطيرة في حياته، وكان هناك معنى كنت تكلمت فيه في سورة الأنعام والإخوة جزاهم الله خيرًا وضعوه كمقطع –لا أذكر اسمه–، أتكلم فيه عن معنى الملتزم وأن هناك طابور قرارات طويل في حياتنا ولكنه متوقف، نحن ندعي أننا نفكر أو أننا لا نملك وقتًا لجلسة ضحى أو لا نملك وقتًا

للقيام أو.. أو..، والقضية كلها في حب الدار الآخرة عندما يزيد، بدليل أنك عندما تحضر درسًا قويًا أو تحضر خطبة مثل الخطبة الجميلة اليوم للشيخ أحمد، وتنفعل معها قد تخرج وتعمل العمل الصالح، إذًا لم يكن يوجد موانع حقيقية ولا شيء، وأنت كنت تدّعي وتقول أنه مستحيل أو صعب، ولكن اتضح أن الأمر يسير، فكما ذكرنا الذي لا يستطيع أن يترك السجائر قد يأخذ جرعة إيمانية عالية فيترك، واتضح أن الأمر ليس أن النيكوتين ينقص والأعذار التي كان يقولها!، اتضح أن الأمر له حلول ولم يكن مستحيلًا، ***فهناك طاعات كثيرة نحن ندّعي أنها مستحيلة وهي ليست مستحيلة، الإشكالية في مشاعرنا تجاه الدار الآخرة***، وهذه نقطة مهمة جدًا في الدعوة إلى الله، لا تشغل بالك بنقاشات كثيرة في الحلال والحرام مَن أمامك يعرفها، فكثير من الشباب يرسل لي كيف أرد عليه وأغلبه في مسألة الأغاني، أو كيف أرد عليه وأغلبه في مسألة الكلام مع البنات!

يا بُني مشكلته ليست في الرد، هو مشكلته في معانٍ معينة إذا تمكنت منه فسيطلب وحده الكمال في الدين، وقد يقول لك حتى إذا كانت حلالًا فلا أريدها،

هذه المعاني عندما تسيطر على إنسان تجعله يذهب للدين، يذهب ليشري نفسه، يبيع نفسه.

{ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.. } بماذا بدأت؟ {فَيُقْتَل} ذاهب من البداية يُقتل، { فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا }.

{ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ }[النساء: 75] إن من الأشياء المهمة التي لا بد أن تحركنا هي نصرة المستضعفين في الأرض، وهذا أمر مهم عند الإنسان أن يكون مشغولًا بالمستضعفين، ربنا أتى بها بعد كلمة {في سبيل الله} معطوفة عليها، فمهم جدًا أن يتحرك الإنسان وينشغل بالمستضعفين في الأرض {وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا }[النساء: 75].

{الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ}[النساء: 76] هنا نقطة مهمة وهذه فيها كلام كثير –كنت قد شرحته في سلسلة ربنا ييسر ويعجل بخروجها، منذ سنتين

ولم تخرج- هي الصراع بين الحق والباطل -ملخصه كنت لخصته في نص ساعة أو وربع ساعة في سلسلة اسمها بصائر- شيء اسمه فقه التدافع.

ملخص الكلام أن الصراع بين الحق والباطل مستمر، ومثلما هناك جنود للحق فهناك جنود للباطل، فربنا يقول {الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا} ماذا يفعلون؟ يتعبون.. { يُقَاتِلُونَ}، هناك معركة دائرة أنت من الممكن ألا تشعر بها، أي أنك ربما لا تعرف أن هناك معركة، فربنا يقول لك هناك معركة، هناك جند لأهل الحق وهناك جند لأهل الباطل، هؤلاء يبذلون وهؤلاء يبذلون، أنت ستكون مع من؟ قد تكون في صف أهل الباطل وأنت لا تشعر، قد تكون من المقاتلين في صف الباطل وأنت لا تشعر، بأعمالك ومآلات أفعالك تهدم في الدين، قد يكون هناك داعية في صف الباطل، وهو ما يحاولونه معك، وهذا خطير جدًا.

لذلك عندما قال ربنا {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۖ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا}[الإسراء: 73] هم لا يريدون منه ترك الدين، بل يريدونه أن يفتري بعض الأشياء، لا يريدون منه ترك الدين ويصبح مشركًا، هم يريدون شخصًا من أهل الدين، من الذين داخل الدين أن يفتروا على الدين أشياء بسيطة وحسب، وبذلك تصبح حبيبهم {وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا} ربنا يقول { وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا}[الإسراء: 74] أي أن هذا الشيء القليل في التدليس على الدين هو عند ربنا عظيم {إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ}[الإسراء: 75]، فإذًا ربنا يقول لك هناك معركة دائرة، أنت ستكون مع من؟ هؤلاء {الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}، وربنا يقول هذا بالضبط أيضًا سيكون معنا إن شاء الله في نفس السورة {إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ}[النساء: 104] أنت تتعب؟ نعم وهو يتعب أيضًا، أنت تتعرض لخطر؟ وهو يتعرض لخطر، {إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ} لكن أنت عندك معنى يحول لك الألم إلى متعة، لكن هذا المعنى عندما يضيع منك فإن تعب الدين يظل تعبا، ما هذا المعنى؟ {وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ} انتظار الآخرة، رجاء في رحمة الله، الإخلاص، أن تنتظر ثوابًا من عند ربنا.

هذا المعنى يهون عليك البلاء، يجعلك تتحرك لنصرة الدين وتتألم لكن الألم يتحول إلى متعة.

مثل أنس بن النضر يُضرب وهو يقول "إني لأجد ريح الجنة" وعنده بضع وثمانون ضربة ولا يشعر بهم! رائحة الجنة كانت تدفعه، *معنى الدار الآخرة عندما يسيطر على الإنسان يجعله يفعل أفعالًا عظيمة في الدين.*

ربنا هنا يقول لك {إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ} انتبه لهذه جيدًا، ولا تضيع منك، يعني كثيرا ما تجد الإنسان يرى ويمر بهذه المنطقة، أنه وهو ويعمل في الدين ينسى هذه المعاني فينقلب العمل للدين بلاءً وألما، مع أن ربنا يقول للنبي –صلى الله عليه وسلم– {طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ}[طه: 1-2] عندما تشعر أن هناك شقاءً توقف لأن هناك إشكالية!

مثلًا عندما –معذرة هي معاني أنا أقولها سريعًا– مثل ما سيأتي في سورة الكهف –إن شاء الله–، في قصة سيدنا موسى وفتاه يوشع بن نون، كانوا ذاهبين للخضر { فَلَمَّا جَاوَزَا} أي المكان الذي أخبره ربنا بأن يقف عنده، ربنا قال له توقف عند مجمع البحرين، عندما ينزل الحوت تقف هناك، فالحوت نزل وكان سيدنا موسى نائمًا ويوشع بن نون نسي أن يقول له، {فَلَمَّا جَاوَزَا} أي تجاوزوا المكان الذي قال له ربنا توقف عنده {قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا}[الكهف: 62]، النبي صلى الله عليه يقول في حديث في البخاري تعليقًا على هذه الآية، يقول (ما مس موسى النصب)[4] لم يتعب طوال الرحلة مع أن الرحلة طويلة (حتى جاوز الميقات)، عندما تتجاوز المكان الذي أخبرك الله أن تقف عنده تتعب حتى إذا كنت ذاهبًا للدين، لأننا من المفترض أن ننصر الدين كما أراد رب هذا الدين، ليس كما يحلو لنا، ننصر الدين مثل ما يقول ربنا، فطيلة الرحلة لا تشعر بهذا الشقاء وهذا الألم.

{فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا} عندما يلتزم أهل الإيمان بهذه المعاني يجدون كيد الشيطان ضعيفًا.

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}[النساء: 77] هذه طائفة أخرى غير طائفة المبطئين، هناك الطائفة الأولى **طائفة الذين تحركهم الدنيا**، وكلما قلت له هيا لنفعل شيئًا، يبطئ ولا يريد، هناك طائفة ضده تمامًا لكن خرجت بنفس النتيجة أنها لم تجاهد أيضًا، كيف وهي ضده تمامًا؟

[4] أَنَّهُ سَمِعَ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، يقولُ :إنَّ مُوسَى قالَ لِفَتَاهُ :آتِنَا غَدَاءَنَا ،) قالَ أَرَأَيْتَ إذْ أَوَيْنَا إلى الصَّخْرَةِ فإنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وما أَنْسَانِيهِ إلَّا الشَّيْطَانُ أنْ أذْكُرَهُ(، ولَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حتَّى جَاوَزَ المَكَانَ الذي أمَرَ اللَّهُ به..

الراوي: أبي بن كعب | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري| الصفحة أو الرقم: 3278 | خلاصة حكم المحدث: [**صحيح**]

طائفة حماسية، شخصية حماسية جدًا لا تبطئ، بل هي التي تقول لك نريد أن نقاتل، أي أن الطائفة الأولى في الآيات الأولى تأتي تقول له نقاتل يقول لك لا، أما الطائفة الثانية هي التي تقول لنفعل شيئًا للدين.. نريد أن ننصر دين ربنا، تجده دائمًا متحمسًا.

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ} كفوا أيديكم حتى من معناها اللغوي.. كأن يده تتحرك من الحماس بدون إرادته، فأنت تريد أن تقول له اهدأ، أي كأن جسمه يتحرك لا إراديًا، جسمه يسبقه لنصرة الدين، عندما ترى هذا المشهد تقول هؤلاء الشباب مَغنم، لكنهم في النهاية ضائعون!.

هؤلاء الناس تراهم وهم يقولون { ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ}[البقرة: 246] تقول الأمر انتهى، الله أكبر، القدس ستتحرر، أين سنصلي، في الأمام أم في الخلف في المسجد الأقصى؟!

هؤلاء الناس ليسوا كذبة، هم فقط لم يحسبوا الأمور ولا العواقب، هي شخصية عنترية حماسية لا تحسب الأمور، لم يفهموا طبيعة الطريق، وهذه مهمة جدًا، ليست مقدرة طبيعة هذا الطريق، أن هناك ابتلاءات، لم يعرفوا أن كل شيء له حسابات وله موازين، هم لا يحبون هذا الكلام من الأساس، عندما تكلمه بالعقل وتقول له انتبه.. هو لا يريد ذلك، إذا قلت له سنحفظ القرآن يقول سأحفظ جزءًا في يوم، كيف هذا! وإذا عارضته يقول أنت تثبطني.. أنت غير واثق في قدرة ربنا! لا، بل لا أثق بك أنت، وأثق في قدرة ربنا، تخرج منه بالحماسة فقط وسنرى الإشكالية الآن.

فالآن هنا طائفة تبطئ وطائفة من شدة حماسها هي التي طلبت في مكة، هذا الكلام كان في مكة {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} كان في مكة، {فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ} أي فلما هاجروا وذهبوا للمدينة وكتب عليهم القتال {إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً} سنرى ما الذي حدث الآن،

بدايةً، **هذه الشخصية عندما تتعرض لأي بلاء أو لأي ضغط، تريد أن تتخلص منه بأي شكل، فتقول هيا نفعل أي شيء لكي ننتهي مما نحن فيه، وهذا له تبعات**، أي في مكة كان هناك ضرب وإيذاء، فيقول هيا نجاهد، وهذا الجهاد له تبعات، يجب أن ننظر للأعداد ومن الممكن أن نخسر، هو لا يريد أن يسمع هذا الكلام، فالشاهد أن هذه الشخصية –وهذه نقطة قبل أن أنسى– ليست كاذبة، هذه الشخصية ليست كاذبة، الشخصية تتحمس سريعًا لكنها لا تكون مثل ما قال ربنا {وَلَقَدْ كُنْتُمْ

تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾[آل عمران: 143] **أي** أن تشاهدوا الموت، مثل ما قلت لكم قبل ذلك، هو بالنسبة له الموت في سبيل الله مثل الفيلم الذي يشاهده، الرجل الملتحي، اللحية الصفراء الطويلة، وتأتي له الرصاصة في قلبه فيبتسم، ثم ينشدون حوله نشيدًا جميلًا، فهو يريد هذه الصورة النهائية، هو لا يفهم أن هذا طريق طويل وممكن ألا تكون هذه هي نهايته، **فهذه الشخصية لا تحسب تبعات الأمور**، فهؤلاء في مكة حالهم تعذيب و.. و.. فيقولون نريد أن نجاهد.

نقطة أخرى مهمة جدًا وتكلمنا فيها في أصحاب الكهف -أظن- **ليس بالضرورة أن يكون دائمًا الحل هو الجهاد، مثل أصحاب الكهف الحل كان الصبر**، أي هناك أناس تشترط على ربنا حلولًا، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ ماذا نفعل؟ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، **هذا كان استعدادًا، وهم فرطوا في الاستعداد، فعندما جاء الوقت لم يبذلوا**.

مهمة جدًا هذه النقطة، أنه أحيانًا يأتي البعض ويقول نريد أن نفعل شيئًا للدين، فالواجب عليك الذي تفعله للدين الآن أن تستعد، ابنِ نفسك إيمانيًا وعلميًا وكن مستعدًا، قد يحدث أي شيء في لحظة، فإذا قيل له ذلك يقول أنتم تبيعون كلامًا! لكن حقيقةً لا يوجد في أيدينا ما نفعله، ثم يقع البلاء وتتجهز الأمة وهو لا يعرف شيئًا وتجده لا يبذل.

فأحيانًا أنت تضيع الوقت في الكلام، كثرة الأماني والكلام اعرف أنه يستنفذ وقت الذي لا يريد أفعالًا، كثرة أماني وكلام، مثل الذي يضيع سنوات الجامعة، التي هي أعز سنين حياته في الأماني، يقول الشيوخ كلهم ضائعون.. إذًا افعل أنت شيئًا!.. يقول أنا بحثت ولم أجد.. لكن هناك من حولك مَن وجودوا!

اعلم أن هذا يستنزف وقتًا، كل هذه الانتقادات والكلام استنزاف لوقتك ولطاقتك، هؤلاء استنفذوا طاقتهم في الشكوى والأمل وقول نريد أن نجاهد، الوقت يمر وهم لمدة ثلاث عشرة سنة في مكة.. ***يجب أن تُبنى.. تقترب من النبي -صلى الله عليه وسلم- وتكثر من الصلاة والدعاء وتصبر وتصابر؛ لأنه سيأتي وقت وتبدأ التحرك، ليس هناك وقت للبناء، هناك وقت للحركة***، فاستنزاف الأوقات في كثرة الكلام والأماني هذا كلام لا معنى له.

عندما ذهبوا للمدينة، ماذا حدث؟ جو المدينة استقرار، لا يوجد ضرب ولا تعذيب واضطهاد، ذهب المدينة وتاجر وتزوج وأنجب وأصبح الأمر مستقرًا، فأصبح هناك تشبث، أغلال أصبح مرتبطًا بها، أصبح هناك ما هو مرتبط به كثيرًا لم يكن موجودًا من قبل.

هذا يحدث معنا دائمًا عندما يكون طالبًا ثم يتزوج ويعمل وينجب، تجد طموحاته وآراءه وأفكاره اختلفت تمامًا، هذا يحدث كثيرًا -ثبتنا الله-، تجده وهو طالب في حالة و بعدما تزوج وعمل وأنجب أصبح مختلفًا تمامًا، التفكير مختلف تماما، بل بالعكس.. غالبا ما ينظر لهذه الفترة على أنه كان إنسانًا ساذجًا، وأن ما كان فيه كان جهلًا وسفاهة وليس هذا هو الدين، قد يكون حقًا الطالب عنده حماسة زائدة لكنه أيضًا ليس المطلوب أن يجلس الجلوس التام لأنه يريد الاستقرار التام!

فعندما ذهبوا إلى المدينة وقعدوا، قيل لهم هيا نقاتل {فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ} أنتم كنتم تريدون أن تقاتلوا!

{ لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ } من معانيها: لماذا قتال؟ نريد حلولًا أخرى أخف، انظر إلى الدعوة، لماذا تريدون الحل الصعب؟ سبحان الله، أنتم كنتم تريدون القتال.

أو لماذا قتال أي: لمَ كتبت علينا القتال الآن؟ اتركنا في المدينة نبني مستقبلنا عشرين سنة ثم نفكر في أمر القتال.

الرد على كلمة 'لمَ كتبت علينا القتال الآن وليس متأخرا' لها رد فقهي: أن الدولة التي تقام يجب أن تكون قوية من البداية، **وكلمة 'لماذا القتال وليست الدعوة؟'** الرد عليها أننا نمارس الدعوة بالفعل، ولكن ماذا نفعل مع الذي يعترض طريق الدعوة؛ لأنه يجب أن توجد قوة تحمي الدعوة.

لكن الرد لم يأت هكذا نهائيًا، وهنا يعلمنا أنه أحيانًا تُسأل سؤالًا أنت يمكن أن ترد إجابة أخرى مختلفة، لكن هذه الإجابة ترد على مَكمَن السؤال، والذي حركه لهذا السؤال ليس أنه يفاضل بين أولويات العمل للدين، بل الذي حركه لهذا السؤال حب الدنيا، هو يقول كلامًا لكنه بداخله خائف على دنياه، هذه هي الحقيقة.

مثلًا إذا كان عندي امتحانات وأريد أن ألغي الدرس بطريقة مهذبة، فأقول مثلا أنه من فقه الدعوة أنه لا يجوز اليوم لأن من خلال الدعوة واستقراء واقع الدولة يقول أنه لا يصح اليوم والمصالح والمفاسد تقول

أن هذا لا يصح، وأنا يكون داخلي أني أريد الإلغاء، إذا كنت أريد الإلغاء فأقول أني أريده، لكن **انتبه أن تُلبس الموضوع لباسًا شرعيًا**، فهنا هم يقولون لماذا قتال ولمَ كتبته علينا؟ فربنا رد عليهم {قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ} الذي تخاف عليه قليل، فأحيانا الذي أمامك يسأل سؤالًا، وأنت ترد على الذي حركه للسؤال لا ترد على السؤال نفسه، أي أحيانًا مثل الذي يلقي لك شبهات إلحادية وليست هي القضية، هو عنده إشكالية أخرى، هناك شهوة تحركه، أو هناك قَدَر حدث ولا يفهمه، فيقولها بصورة أخرى، يخرجها بصورة أخرى، فأنت ترد على الدافع الذي حركه، هذا فقه في الإجابة، ربنا يقول لهم {قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ} وكل مجهود ستفعله أنت خائف عليه لن تُظلمه {وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا}،كل نقطة عرق وكل نقطة دم وكل نقطة غبار جاءت عليك كل هذا ستأخذه {وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا}.

ثم لو أنك خائف من أن تعمل للدين لكي لا تصاب {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ}[النساء: 78] الآية التي بعدها، ولو قعدت في المدينة وأقمت بروجًا مشيدة سيأتي لك الموت أيضًا، **فالعمل للدين لا يعجل بالموت والقعود لا يؤخر الموت**، في آل عمران { لَو كُنتُم فِي بُيوتِكُم لَبَرَزَ الَّذينَ كُتِبَ عَلَيهِمُ القَتلُ إِلى مَضاجِعِهِم }[آل عمران: 154]، ربنا يقول لهم {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ} أي التي بنيتموها، أنت قعدت في المدينة وأقمت بروجًا مشيدة؟ لن تحميك من الموت.

{وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ} **هذه إشكالية أخرى** عند بعض المنافقين، طريقة أخرى في التفكير غير المبطئين، هذه إشكالية أخرى.

بالطبع الآيات تستعرض أصنافًا من الأشخاص، أيضًا الآية الثالثة والثمانون أتت بصنف آخر، الشخصية الهلوعة {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ}[النساء: 83] هذه شخصية من يقول.. لا توجد فائدة.. سنضيع.. الدنيا خربت.. عندما يسمع خبرًا صغيرًا، هناك شخصية كلما نظر إلى البحر يقول يا إلهي سنغرق، دائمًا كلما سمع أي خبر أو تحدث مشكلة يقول الدنيا خربت ونحن سنموت.

{أذاعوا} دائمًا يتكلم أكثر كلامه في قضايا الأمن والخوف ويذيع به قبل أن يتأكد ولا يرده إلى أهل العلم.

إذا سمعت خبرًا ليس من المهم أن تذيعه إلا إذا كنت من أهل الأمر الذين سيأخذون قرارت، لكن أحيانًا معرفة –مثل ما أخبرتكم قبل ذلك– معرفة الواقع حتى على حقيقته أحيانًا يضرك، لو أنك ليس لك زاد إيماني، نحن تكلمنا –أظن قلت لكم– في آية سورة الأنفال { وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا}[الأنفال: 43] أي على حقيقتهم {لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}[الأنفال: 43] أنت ضعيف ولا تتحمل، كثرة الانشغال بأخبار الواقع دون زاد إيماني هو وبال عليك، إذا كان عندك زاد فحسنًا، وإذا سيؤثر في قراراتك فحسنًا، لكن أنا أتكلم في كلمة (أذاعوا به).. {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ} يجب عندما يأتي له يرده لأولي الأمر ويرى ماذا سيفعل، يهدأ ويصلي ويستشير.

هناك شخص عندما يأتي له خبر يقوم يضيف إليه ما يضيف وينشره.

وكإسقاط على واقع المسلمين وخصوصًا في الآيات مثلًا أنه يسمع أن اليهود ذهبوا ليزوروا الروم.. فيقول أنهم سيقومون باتفاقية وسنضيع و سيُبيدونا وسيحضرون آلات حديثة، ولن تقوم لنا قومة والمسلمين انتهوا، **أي خبر يضخمه ويقول انتهينا**، والعكس هو الصحيح، أنت **يجب في زمن الاستضعاف أن تنشر البشرى**، {وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً} ثلاث أشياء في زمن الاستضعاف {وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً}[يونس: 87] سواء قبل بعضها البعض لكي تتقابلوا أو اتجاه القبلة لكي تكثروا الصلاة، {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} في أوقات الاستضعاف تكثر من لقاء إخوانك، لا تتقابلوا لتمزحوا، بل تتقابلون تصلون وتنشرون البشرى، أي دائمًا البشرى تأتي بعد الصلاة، أنت لا تستطيع أن تستبشر إلا بعد صلاة، الزاد الإيماني **{وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}**.

هذا مع عموم المؤمنين، ليس مع عموم المؤمنين أن تذهب وتنشر لهم، حتى إذا كان الخبر صحيحًا لا تنشره، لا يتحملون، ماذا سيستفيدون منه؟

المهم حتى لا نطيل..

فهذه هي النهاية.. في النهاية آية، إذا تركك كل هؤلاء.. الشخصية الهلوعة والجبانة أو المبطئة والحماسية لا أحد يؤثر فيك {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}[النساء: 84]، زد في الإيمان {لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ} لا تنظر

إلى أحد، ولو انفرط كل الصف ورجع كل الجيش {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ} أنت تظل مستمرًا، لا تلتفت إلى أحد {لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ}، ماذا أفعل مع هؤلاء الناس؟ دورك معهم أنك **لست عليهم بمسيطر، دورك تجاههم التحريض، ماذا يعني التحريض؟**

يقول لك حَرَضًا {حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ}[يوسف: 85] في سورة يوسف، ماذا تعني حَرَضًا؟ {تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ} **أي** ستظل تتذكره حتى تكبر وتتعب وتموت، فالحرض الرجل الذي أصبح ضعيفًا من شدة المرض، هذا الحرض.

فكلمة { وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ} **أي** معناها أنك تفهمهم إن لم تعملوا للدين ستهلكون، عكس مفهومهم، هم يعتقدون أنهم إذا عملوا للدين سيهلكون، {حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ} **أي أفهمهم أن نجاتهم من الحرض هذا الذي هو الهلاك يكون بالبذل،** { وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} **معناها أن القعود هو التهلكة، وليس القتال في سبيل الله هو التهلكة.**

فالحل عندما تجد الناس كلها تقع وتنتكس وتبعد، وهذا هلوع وهذا حماسي، وهذا يبطئ، ماذا أفعل؟ {لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ}.

الآية التي بعدها { مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً} {وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً }[النساء: 85] الإمام الطبري يقول معناها أي الذي يقف بجانب أحد، الشفع يعني اثنين، الوتر يعني الواحد، يشفع أي ينظر إلى شخص يعمل للدين فيقف جانبه ويساعده، فيكون الشفع له، ويكون الآخر شفعًا له، الذي يساعد شخصًا يعمل للدين في هذه الأزمات يكون ثوابه كبيرًا جدًا، والذي يذهب ليساعد شخصًا سيئًا في هذه الأزمات يكون وزره عليه.

نكتفي بهذا القدر، سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد ألا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.